

الجهود اللغوية لابن معطي الزواوي الجزائري من خلال " الدرّة الألفية " وأبعادها التّعليميّة والتّربويّة في الجزائر وخارجها

The Linguistic Efforts Of « Ibnmu‘tyalzwāwy », The Algerian, The Example
of « Aldurrahāl’lfiyyahfī al-‘Ulūm al-‘Arabīyah » Their education
And Didactic Dimensions Both Inside And Outside Algeria

سعيدة سعدودي

جامعة امحمد بوقرة بومرداس (الجزائر) s.sadoudi@univ-boumerdes.dz

تاريخ الاستلام: 2024/11/12 تاريخ القبول: 2025/01/11 تاريخ النشر: 2025/01/31

ملخص:

شهدت الجزائر حركة علميّة وفكريّة وأدبيّة كبيرة عبر تاريخها الطويل، بفضل ما قدّمه أعلامها ومفكروها على اختلاف مشاربهم العلمية ومؤلفاتهم الأدبية، ومن بين العلوم الجليلة التي لقيت عنايتهم وشهدت اهتمامهم، علم النّحو هذا الأخير الذي احتلّ حيزاً واسعاً من البحث والدراسة؛ نظماً وتلخيصاً وشرحاً وممّن ألف فيه نجد: ابن معطي الزّواوي البجائي الجزائري الذي يعدّ قامة علمية جزائرية.

وتسعى هذه الدراسة إلى إبراز أهمية المنجز اللّغوي والتّعليميّ لأحد أقطاب الفكر العربي الجزائري، هذا العالم النابغة، واللّغوي البارِع والتّحوي المتمكّن والفقيه المتمرّس، والأديب الشاعر، صاحب الدرّة النفيسة الموسومة بـ" الدرّة الألفية في العلوم العربيّة". وذلك من خلال تسليط الضوء على منجزاته الفكريّة واللّغويّة والمعرفيّة والتّعليميّة في الجزائر وخارجها. ويروم هذا البحث إلى تحقيق النتائج التالية: - معرفة المنجز اللّغويّ في الفكر العربيّ. - استخراج المغمور من المخطوط الجزائري - تقديم إسهامات علماء الجزائر في الدّرس اللّغوي والتّعليميّ الألفية إضافة علمية وتعليمية للدراسات العربية غايتها تيسير تعلّم اللّغة العربيّة وتسهيل تعلّمها للناشئة.

كلمات مفتاحية: الدرّة الألفية، أعلام، ابن معطي، التّعليميّة، النّحو.

Abstract:

The history of Algeria has seen the emergence of a major scientific, intellectual and literary movement thanks to the scientific contributions of its thinkers who had expressed a particular interest in grammar in terms of writing, synthesis and commentary

This study seeks to highlight the importance of the linguistic and didactic achievements of one of the pionneers of Arabic thought, the author of the

masterpiece: « Aldurrahal'lfyyahfī al-'Ulūm al-'Arabīyah», the Algerian grammarian: « Ibnmu'tyālwāwy ».

This research aims to achieve the following results: unveiling the linguistic achievements in the arabic thought, demystifying the algerian manuscripts, presenting the contributions of the Algerian scholars to the linguistic and didactic studies.

Keywords: Al-DurraAl-Alfiya, scholars,IbnMuti, didactics. Grammar

1.مقدمة:

لقد تأسست في بجاية وما حولها - لا سيما في منطقة زواوة - معاهد ومراكز علمية توالى عليها طلاب العلم جيلا بعد جيل، فبجاية كانت منذ القرن الخامس الهجري حاضنة ثقافية وعلمية لمدن المغرب العربي الكبير وبعض المدن الأندلسية، فاكثرت كثير من علماء هذه المنطقة شهرة شملت ربوع العالم الإسلامي آنذاك شرقا وغربا، فكانت بذلك مركز إشعاع حضاري، وثقافي، وديني، يربط الغرب الإسلامي بشرقه. ولطالما استقطبت بجاية العلماء والدارسين من كل أصقاع العالم فكيف لابن معطي ألا يكون إلا كذلك. وبناءً على ذلك سنحاول الإجابة على الإشكالية الآتية:

— ما هي الإسهامات اللغوية التي أنجزها ابن معطي في مجال النحو التعليمي في الجزائر وخارجها؟ وهل يُعدّ ابن معطي إضافة علمية للمنجز اللغوي الجزائري والعربي؟ وفيما تمثلت إضافته اللغوية والتعليمية؟ وكيف انعكست إسهاماته التعليمية والتربوية على الناشئة؟ وانطلاقا من التساؤلات السابقة تم اقتراح مجموعة من الفرضيات تمثلت في الآتي:

- إن استغلال منظومة ابن معطي في مناهج التعليم يرفع من مستوى المردود التعليمي في أي مرحلة من مراحل التعليم.
- إن استثمار الدرّة الألفية في تعليم اللغة العربية أثبتت إمكانية مساهمة المستجدات التعليمية والتطبيقية الحديثة.
- الدراسات اللغوية والتعليمية الحديثة ماهي إلا امتداد للتراث اللغوي وهو ما أكّده الدرّة الألفية.وتسعى ورقتنا البحثية هذه إلى التعريف بالمنجز اللغوي والتعليمي لأحد أقطاب الفكر العربي الجزائري صاحب المنظومة الشهيرة "الدرّة الألفية"، التي طالت شهرتها آفاق الشرق والغرب ونهدف من خلال هذه الدراسة إلى ما يلي:

الجهود اللغوية لابن معطي الزواوي الجزائري من خلال " الدرّة الألفية "

وأبعدها التّعليميّة والتربويّة في الجزائر وخارجها

- الاستفادة من التراث الجزائري وإعادة إحيائه من خلال تسليط الضوء على منجزاته الفكرية واللغوية والمعرفية والتّعليميّة.
- معرفة المنجز اللّغويّ في الفكر العربيّ.
- استخراج المغمور من المخطوط الجزائري.
- تقديم إسهامات علماء الجزائر في الدّرس اللّغوي والتّعليميّ.
- وللإجابة على الأسئلة المطروحة وفرضياتها سلكنا منهجية علمية تطرقنا فيها إلى معالجة القضايا الآتية:
- الجانب النظري:** واشتمل على:
- الحياة العلميّة والفكرية لابن معطي:** بينا فيها المكانة العلميّة لهو لمؤلفه " الدرّة الألفية " ثم تطرقنا بعدها إلى مسألة التلقّي العربيّ لفكر "ابن معطي الزّواوي الجزائري" اللّغوي وكذا التّعليمي.
- أمّا الجانب التطبيقي** وهو – دراسة تطبيقية على الدرّة الألفية – فرصدنا فيها المسائل اللّغوية والنّحوية التي تطرق إليها ابن معطي في درته النفيسة ومن ثمة عالجنّا الجوانب التّعليميّة والأبعاد التربوية التي خاضها وأسّس لها في هذا المجال من خلال كتابه هذا.

2. جهود ابن معطي وإسهاماته اللّغوية والتّعليميّة في الجزائر وخارجها:

1.2 المكانة العلميّة والفكرية لمؤلف الألفية:

لقد اشتهر ابن معطي بغزارة العلم وسعة المعرفة، حيث إنّه ألّف وحقّق الكثير من الكتب، ولم يقتصر على علم واحد أو نهج معيّن كما تدل على ذلك مصنفاته الكثيرة والعديدة، وقد شهد له العلماء والأدباء بأصالته وعمق فكره ووصفه الإمام الذهبي بأنّه العلامة وشيخ النّحو والفقيه، فهو من بين العلماء الجزائريين الذين تركوا بصمتهم في البحث اللّغوي، والمجال التّعليميّ ليس في الجزائر فحسب بل كان الاحتراف بجهوده عند المغاربة والمشاركة على حد سواء، إنّه إمام عصره في النّحو واللّغة، ورائد نظم علوم اللّغة والنّحو، وألفيته تُعدّ أوّل مؤلّف في النّحو صيغ في قالب شعري، وهو الذي ذكره ابن مالك في مقدّمة ألفيته اعترافاً له بالأسبقية قائلاً¹:

¹ ابن مالك، متن الألفية المكتبة الشعبية، بيروت، لبنان، (ب. ط)، (ب. ت)، ص 2 وما بعدها.

وتقتضي رضيً بغير سُخْطٍ *** فائقةً أَلْفِيَّةَ ابْنِ مُعْطٍ وَهُوَ بِسَبْقٍ حَائِزٌ تَفْضِيلاً *** مُسْتَوْجِبٌ ثَنَائِي الْجَمِيلَا

وقد شهدت كتب التاريخ أنه لم يعرف أبرع منه في الدّراسات اللّغوية ولا سيما النّحوية منها كما لا ننسي الجانب التعليمي والتربوي المتقدم عنده، سواء في منطقة زواوة أو في بجاية بأكملها، حتى أنها أصبحت تذكر في المشرق العربي بذكر هذا العالم الرائد الرّاسخ، وحرّي بنا أن نُقرَّ بأنّ الحضارة الإسلامية العربية مدينة لهذه المنطقة التي أنجبت واحدا من أهمّ علماء العربيّة.

وتشير الدّراسات إلى أنّ السلطان عيسى بن محمد الأيوبي لما عرف قدره ومكانته العلميّة أكرم نزوله عندما انتقل إلى المشرق الإسلامي متوجّها إلى دمشق، حيث أسندت إليه مهمّة التّظر في مصالح المساجد بها كما قدّمه لمهنة التدريس والتّعليم آنذاك؛ **فتصدر** الشيخ تدريس اللّغة والأدب والنّحو وبيّن عمق التفكير الجزائري تنظيرا وتطبيقا.

2.2 المكانة العلميّة لدرة الألفيّة وأثرها في الدّراسات العربيّة:

خلف ابن معطي ثروة علمية وأدبية، وآثارا قيمة منها "ألفيته النّفيسة وهي منظومة جمعت بين بحرّين هما "السرّيع" والرجز" وقد سمّاها "بالدرة الألفيّة في العلوم العربيّة"، التي حقّقها الكثير من الشّراح منهم علي موسى الشوملي، وقد ألفها سنة (593هـ) وأتمّها في (595هـ)، وقد اقتفى ابن مالك (ت 672هـ) أثره في تأليفه منظومته الشهيرة الألفيّة والموسومة "بالفّية ابن مالك" حيث قال المقرّي في هذا الصّدد: تبع فيها ابن معطي قالوا: ونظمه أجمع وأوعب، ونظم ابن معطي أسلس وأعذب²، كما أثنى عليه العديد من العلماء فهذا محمّد الطّناحي يثني عن مكانته العلميّة ومقدرته اللّغوية قال: وقد رأيت أثناء بعثتي إلى تركيا صورة إجازة إقرأ من ابن معطي لأحد العلماء والتي تدل على علمه وفضله. وغيرها من المؤلفات والمصنّفات التي ذكرها أصحاب التراجم والسير.

وأثبتت الكثير من المصادر التي ترجمت لابن معطي، أنّ الرجل ترك إنتاجا غزيرا في علم النّحو والشعر؛ فهو أوّل من قدّم منظومة متكاملة في علم اللّغة في نمط شعري منظوم وهو ما كشف عن أسبقيته في هذا المجال الذي تميّز فيه بسعة فكره العميق ورؤيته المتفردة في عرض أفكاره التي كانت تستند إلى مرتكزات عقلية دقيقة، وقد ذكر له المؤرّخون المؤلفات الآتية³.

² _ أحمد بن محمّد المقرّي التلمساني، نفح الطيب، تح: إحسان عباس دار صادر، 1388هـ - 1968م، ج1، ص 432.

³ _ السيوطي، البغية، تح: أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، مصر، ج2، ص 344.

الجهود اللغوية لابن معطي الزواوي الجزائري من خلال " الدرّة الألفية " وأبعادها التعليمية والتربوية في الجزائر وخارجها

الألفية في النحو التي أتمّها في (595هـ/ 1198-1199م)، وهي أشهر ما ألف ابن معطي والتي بيّن فيها عبقريته الفذة والتميّز حيث لاقت اهتماما كبيرا من الدارسين في المشرق والمغرب وشكّلت مادة دسمة في حلقات دروس النحو في مختلف المدارس والمعاهد التي كان يعطي بها الشروح والدروس المختلفة. كما نالت حظا وافرا من الدراسة؛ لذلك اهتمّ بها الباحثون من ناحية الشروح التي وُضعت عليها، في المشرق والمغرب فقد كُتِب لها من الشهرة الحظ الوافر فكثرت شروحاتها واختصاراتها والنظم على منوالها، ومن الشروحات التي وضعت لها نذكر⁴:

شرح محمد بن يعقوب الدمشقي، (ت718هـ/1318م). وشرح " الدرّة الألفية" للنيلي، تحقيق محمد بن سالم العميري، وشرح أحمد بن الحسين بن الخباز الأريلي (ت637هـ/1229م) سماه "الغرة المخفية في شرح الدرّة لألفية"⁵، وشرح الشيخ زين الدين عمر بن مظهر بن الوردي (ت794هـ/1348م) وسماه "ضوء الدرر"، بالإضافة إلى شروح كثيرة لها كشرح ابن القواس وجمال محمد بن أحمد، وشرح محمد بن مزيد، وأبو بكر الخزاعي، وشرح "ألفية ابن معط" الموسومة بـ "حرز الفوائد وقيد الأوابد"، وشرح محمد بن يعقوب المعروف بابن النحوية، وجمال الدين أبو بكر البكري الشري، الذي كان من أوعية العلم صنف شرحا مليحا على ألفية ابن معطي⁶، كما عدّ رائدا في استعمال مصطلح الألفية حيث قال:

نحوية أشعارهم المروية* هذا تمام الدرّة الألفية**

ثم هذا حذوه ابن مالك حين قال:

وتقتضي رضا بغير سخط*فائقة ألفية ابن معط**

كما ألف زين الدين أبو التقي (ت828هـ/1424م)، ألفية في النحو "سماها كفاية الغلام في إعراب الكلام"، وكان ابن معطي قد انفرد بتسمية "الألفية" وسبق غيره إلى ذلك ويعدّ الذين جاؤوا بعده أتباعا له. وتفرّده أيضا عندما خرج عن القاعدة فيما يخصّ نظم الألفية على بحرین الرجز والسريع، وهو ما جعل عددا غير قليل من الباحثين والمهتمين بالثناء على المقدرة الفنية لهذا المعلم البارِع وفي توفيقه

⁴ _ ينظر: ابن معطي، الفصول الخمسون، تحقيق ودراسة: محمود محمد الطناحي، (د.ط)، ص 50.

⁵ _ الوصف المادي، 128 ق، 23 س، 245 × 16 سم، تاريخ النسخ، 685 نسخ ق، مصدر المخطوطة، موقع جامعة الملك سعود.

⁶ _ صلاح الدين الصفدي، وافي الوفيات، تح: أحمد الأرناؤوط، 2000م، 205/1.

في الجمع بين هذين البحرين واعتبروه دليلاً على قدرته الفنية العالية، حيث أن التقارب كبير جداً بين البحرين⁷.

ويرى كثير من الدارسين أن ابن معطي قد انتهج أسلوباً متميزاً وفريداً في التدريس — لا سيما في جامع عمرو بن العاص في القاهرة — الذي شبه بأسلوب المحاضرات بمفهومها المعاصر بحيث كان يجلس بمكان معروف بالجامع فيلتف حوله جمع كثير من الناس فيبدأ بإلقاء محاضراته مع تخصيص أوقات محددة لإلقاء هذه المحاضرات. فالشيخ مارس مهنة تدريس النحو لسنين طويلة ولم يعتمد الطريقة التقليدية بل سلك أسلوباً جديداً مخالفاً لذلك من سبقه إذ اعتمد طريقة جديدة تعتمد على المناقشة والحوار وإبداء الرأي وطرح الأسئلة مثل ما هو معمول به في مناهج التدريس الحديثة⁸.

وذكر بعضهم أن ابن مالك سبق وأن درّس ألفية ابن معطي لطلابه، كما أن الدرة الألفية تعكس القيمة العلمية للقطب العلامة ابن معطي؛ فهو من اتقن علم النحو العربي وعرضه للطلاب والمهتمين بصورة مبسطة وسلسلة ومنظومة مشحونة بالعلم الذي ضم "علم النحو والاعراب" و"التصريف"، والخط والكتابة، والبديع في صناعة الشعر، بالإضافة إلى التراجمو التعريف بالشعراء وانتاجاتهم؛ وهي نوع من الشعر التعليمي.

ونستشف مما سبق أن ابن معطي الزواوي كان من كبار النحويين وقد حاز قصب السبق في مجال المنظومات وأكبر دليل على ذلك مصنفاته التي تمثل المدرسة النحوية العربية، كما أن الرجل صاحب منهج متقدم التزمه المهتمون بعد وفاته واستمر تأثيره في انكباب كبار المهتمين بالنحو على شرح مؤلفاته واختصارها زد على ذلك أنه كان مبدعاً في مجال التدريس بدمشق وحضر حلقاته جمع غفير من طلاب العلم والمهتمين بالتدريس.

3. الجوانب اللغوية والأبعاد التعليمية والتربوية في الدرة الألفية

1.3 المصطلحات اللغوية والنحوية:

⁷ عبد العزيز جمعة الموصلي، شرح ألفية ابن معطي تحقيق ودراسة، علي موسى الشوملي، دار البصائر، الجزائر، 2007م ط1، ج1، ص 60 - 61.

⁸ ينظر: عبد الرحمن عيان، الشعر التعليمي في الأدب الجزائري القديم في عهدة الموحدين، دراسة في موضوعاته وشيخه، ابن معطي نموذجاً، رسالة ماجستير في الأدب، العربي، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، 1427هـ / 1428م - 2007م / 2008م، ص 82.

الجهود اللغوية لابن معطي الزواوي الجزائري من خلال "الدرة الألفية" وأبعادها التعليمية والتربوية في الجزائر وخارجها

الألفية هي من أبرز مؤلفات ابن معطي كما ذكرنا سابقا، حيث ضمّنها أبواب النحو والصرف، وقد حظي النحو بجزء وافر على عكس الصرف الذي لم يشمل سوى المقالات العشر الأخيرة، وهي مقالات كان ترتيبها في آخر الكتاب، كما هو معمول به أو متعارف عليه في معظم المؤلفات النحوية.

كما أنّ ألفيته تميزت بالسلاسة والسلامة والإحكام في صياغة القواعد النحوية فالشيخ اشتغل بالأدب درسا وتصنيفا، قال ابن الخباز عن ذلك: "إنّه في هذه الأرجوزة قد حاز قصب السبق حيث جمع بين اللفظ القليل والمعنى الكثير وكيف لا يكون ذلك وقد كان في العربية نسيج وحده"⁹، فابن معطي امتاز بالسلاسة في المأخذ والسهولة في المطلب، والبديهة في الاستيعاب والإدراك قال الشريشي فيه: "وهذه الأرجوزة البديعة الفصيحة شاهدة له بسعة العلم وجودة القريحة. إذ نظم فيها علم العربية نظم الجواهر في السلك، وخلصها من الحشو تخليص الذهب عن السبك"¹⁰، ووصفه ياقوت الحموي وابن خلكان بأنّه: أديب يجيد صناعة الأدب، وصياغة العبارة، واستعمال اللّغة في أماكنها المناسبة.

بالإضافة إلى تميزه في النظم بالعنونة من خلال تقسيماته في إيراد مباحث النحو، واستحضار الشواهد على اختلافها وتنوعها، من القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، والشعر العربي؛ على سبيل الاستشهاد والتمثيل والتعليل والتسهيل والتيسير، فلم يعالج مسألة من المسائل النحوية إلا مثّل لها بعد صياغة القاعدة، كما هو مبين في النماذج الآتية:

*مصطلحات المدرسة البصرية:

استخدم ابن معطي في ألفيته العديد من المصطلحات منها ما هو مستعمل عند البصريين ومنه ما هو مستعمل عند الكوفيين ومن بين هذه المصطلحات نذكر:

– مصطلح التّمييز والجر: وهو عند الكوفيين التفسير والخفض. والممنوع من الصرف، والحال والتوكيد، والبدل وهو ما يقابله الترجمة أو التبيين، المبتدأ والخبر، اسم الفاعل، الأفعال المتعدية المفعول معه وهو ما يقابله شبه المفعول إنّ المتمعن في جلّ المصطلحات الواردة في الألفية يستنتج أنّ ابن معطي يفضل مصطلحات المدرسة البصرية ويغلبها على مصطلحات المدرسة الكوفية لا لشيء – وإنما حسب اعتقادنا – لكون المصطلحات البصرية أكثر تداولاً

⁹ الشريشي، التعليقات الوافية في شرح الدرة الوفية، مخطوط بمكتبة ليبزج، ألمانيا تحت رقم 210.

¹⁰ ابن معطي، الفصول، تح: محمود محمّد الطناحي، القاهرة، 1977 م، ص 81.

واستعمالاً من مصطلحات الكوفيين ويسعى هذا الأخير من هذا كله تيسير حفظ القواعد وتسهيلها وتمثلها بسرعة لدى المتعلمين.

*** مصطلحات المدرسة الكوفية:** نجد مصطلح "الجد" بدل "النفي"، ومصطلح "ما لم يسم فاعله" بدلاً من مصطلح "المبني للمجهول"، وغيرها من المصطلحات منها:

— العطف على المضمَر: يقول في هذا الشأن:

والمضمَر المجرور إن عطفتا * عليه جيء بما به جررتا**

فعطف المضمَر المجرور يأتي بما قد جررت به.

واستشهد بأمثلة في ألفيته يرجع إليها في مضانها¹¹. مثل:

نحو مضى به بالغلام * وشد منه بك والأيام**

— الترخيم: قال:

ثم إذا زاد المنادى العلم * على ثلاثة فقد يرخم**

ويقصد العلامة بكلامه هذا "فقد يرخم" حذف آخر حرف من المنادى. أما قوله "على ثلاثة" وهي شروط الترخيم وهي:

✓ أن يكون المنادى معرفاً وغير مضاف

✓ حذف الحرف الأخير منه فقط

✓ حذف الحرفين الآخرين

— "لكن العاطفة":

اشتراط صاحب الدرّة في لكن العاطفة أن تكون مسبوقة بنفي¹²، بمعنى أن "لكن العاطفة" تستخدم للاستدراك بعد النفي، فهي تأتي بعد النفي لتفيد معنى مقابلاً لما سبق ولكي تكون عاطفة يجب أن تتوفر على شرط:

— أن تكون مسبوقة بنفي

— الاختلاف في أصل الاشتقاق: هل هو المصدر أم الفعل، يقول في ذلك:

واشتق كوفيون أيضاً المصدراً * من فعلة نحو نظرت نظراً**

واشتق منه الفعل أهل البصرة * وذو الذي تليق به النظره**

— اشتقاق الاسم والمسائل الخلافية بين المدرستين قال في هذا المضمَر:

واشتق الاسم من سما البحرين * واشتقه من وسم الكوفيون**

¹¹ المصدر نفسه، ص 79.

¹² شرح الفية ابن معطي، تح: على موسى الشوملي، الرياض، ج 2، 1985م، ص 784.

الجهود اللغوية لابن معطي الزواوي الجزائري من خلال "الدرّة الألفية" وأبعادها التعليمية والتربوية في الجزائر وخارجها

يشير الشيخ من خلال الأمثلة السابقة إلى اختلاف علماء المدرستين في أصل المشتقات فرأي جمهور البصريين أنّ المصدر هو الأصل، وذهب جمهور الكوفيين إلى أنّ الفعل هو الأصل. إلاّ أنّه يميل كثيرا لأنصار علماء البصرة. وقد أشاد برأي البصريين ومؤلفه حافل بالمصطلحات اللغوية والنحوية والصرفية وهي حصيلة عصارة فكره المميّز والمتفرد في بعض الجوانب ممّا جعله يشقّ مضمارا خاصا به في تناول بعض المسائل واستخدام مصطلحات خاصّة به، مع تأثره بمصطلحات لغويّة ذكرها البصريون والكوفيون وغيرهم.

3 - 2 الأبعاد التعليمية والتربوية في الدرّة الألفية:

يُقرّ الكثير من الباحثين أنّ الرجل اتّجه اتّجاها تربويا تعليميا؛ لأنّه كان حريصا على أن تكون الأمثلة التي يصوغها ممّا تثبت به القيم الدينية في نفوس المتعلمين وطلاب العلم لديه. فكان يُوظّف الأمثلة توظيفا تعليميا تربويا فسلك طريقا يمكّنه من غرس الكثير من القيم والمبادئ السليمة التي يريد أن ينشئ المجتمع عليها ويعودّها إياها.

كما أنّه كان يهدف من خلال الشواهد الشعرية، والآيات القرآنية إلى تثبيت القاعدة النحوية أو اللغوية في ذهن القارئ بغية توضيحه للأمور وربطها بما يحفظ من القرآن والشواهد الشعرية المكرّرة، ومن أمثلة شواهد قوله:

مُؤَيِّدًا مِنْهُ بِخَيْرِ الْكُتُبِ * وَحَيًّا إِلَيْهِ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ**

والملاحظة ممّا سبق أنّ منهج ابن معطي كان يشبه إلى حدّ كبير الأساليب التربويّة والطرق الحديثة في التّعليم، بحيث كان ينطلق من القاعدة ثمّ يبدأ بالتّفصيل فكان يعرض المسائل النّحوية ليقف عليها الدّارس أملا في استيعابها ومراعاتها عند النطق والكتابة للوقوف عند حدود الضوابط الواجب انتحائها. وهو ما يساير المناهج التعليمية الحديثة في طرق التّعليم بحيث يبدأ المعلم بعرض القاعدة النحوية أو اللغوية للموضوع المراد تعليمه، ثمّ يبدأ في التفصيل نمثّل لذلك من خلال باب "تعريف الفعل" الذي يعرفه ثم يأتي بعد ذلك بثلاثة أبيات ليذكر خصائص الأفعال ومميزاتها فيقول في التعريف مثلا:

الفعل ما دل على زمان * ومصدر دلالة اقترن**

بمعنى أنّ الفعل يحمل معنى ويشير إلى زمان معين، سواء كان ماضيا أم مستقبلا؛ أي دلالة الفعل على الزمن في العربية.

ثم يأتي بعدها للتّفصيل في خصائص ومميّزات الأفعال:

والفعل بالسّين وسوف عرفا * والأمر والنهي وقد أن صرفا**

يبين الإمام في هذا البيت علامات الفعل فإذا دخلت "السين" و"سوف" على الكلمة فهي فعل. وأن الأمر والنهي هما بالفعل فقط؛ لأننا نأمر بإيقاع فعل وننهي عن إيقاع فعل. والأمثلة أو الشواهد تنطبق على باقي مؤلفاته. والملاحظ ممّا سبق أنّه اعتمد على جملة من المعايير في اختيار المثال، وهي معايير تتفق اتفاقاً كبيراً مع ما توصّل إليه علماء اللسانيات التطبيقية وتعليمات اللغات نذكر منها مسألة¹³:

– المطابقة:

وهي أن يكون المثال أو الشاهد موافقاً للحكم النحوي أو القاعدة التي يراد تعليمها، وقد اعتبره بعض العلماء شرطاً أساسياً لصحته.

– الدقة والاختصار:

ألا يكون الشاهد أو المثال طويلاً بحيث يخرج عن الهدف الذي وضع من أجله، فيؤدّي إلى تشتيت الذهن.

– سلامة اللغة ورشاقة الأسلوب:

إنّ أغلب علماء النحو القدامى كانوا يلجؤون إلى انتقاء الأمثلة من القرآن الكريم، والشعر العربي القديم، والنصوص الأدبية الرّاقية.

– التنوع والتعدد:

وهو أن يعتمد المدرّس أو المؤلف للكتب النحوية إلى إيراد أكثر من شاهد واحد للحكم النحوي لأنّ ذلك أدعى لترسيخ القاعدة وإمكانية استخدامها في مكانها المناسب.

بالإضافة إلى ذلك تعتبر منظومته تعليمية بالدرجة الأولى؛ لأنها سهلت على المتعلّم حفظ ما تعلّمه إذ تمكّنه هذه المنظومة من الإلمام بالقواعد، وتيسّر له فهم النصوص الفصيحة السليمة، وتعودّ ألسنة المتعلّمين التكلّم بها والنسج على منوالها، كما أنّه بإمكانها أن تكسبهم ما يسمى بالكفاية النّصيّة وهي القدرة على إنتاج نصوص جديدة. وجهود صاحب الألفية في هذا المجال قيّمة وبارزة؛ وقد تقطّن إلى مسألة توظيف نظم الشعر وما لإيقاعه من أثر في حفظ القاعدة والشواهد بأنواعها وكذا في صياغة المنظومات النحوية وغيرها التي تسهم في تسهيل تعلّمها، وتيسير حفظ القواعد والشواهد، وتُمكن الطلاب من عملية الاستيعاب، وسرعة الاستحضار.

¹³وينظر على سبيل المثال:

W. Mackey: principes de didactique analytique, traduction Lorne la forge paris 1972

،p 280.

الجهود اللغوية لابن معطي الزواوي الجزائري من خلال " الدرّة الألفية "

وأبعادها التعليمية والتربوية في الجزائر وخارجها

كما نلاحظ درجة وعي ابن معطي بمسائل التدريس فكأنّ الرجل نظّم الألفية وفق الطرق الحديثة التي تراعي معايير صناعة الشاهد النحوي، ومراعاة الجوانب المعرفية والنفسية للمتعلّمين، كما لا ننسى مراعاته لمبدأ التدرّج إذ غالبا ما يستهل درسه بالسهل لينتقل بعد ذلك إلى الصّعب، أيضا تفريقه بين ما هو علمي وما هو تعليمي والذي يعدّ صلب ميدان تعليمية اللّغات؛ لأنّ المعرفة العلميّة غير المعرفة المدرسية¹⁴، كما لا يمكن أنّ نعرض على ما ركّز عليه ابن معطي فيما يخص التركيز على التكرار؛ أي تكرار القاعدة وحفظ الشواهد لا سيما إذا كانت من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والشعر الجاهلي؛ أي الممارسة المتكررة للتراكيب والشواهد التي تؤدي الى ترسيخ المعلومات وهو في الحقيقة سمة التعليم الفعّال على حد تعبير ابن خلدون الذي يرى أنّه كلما زاد التكرار تكونت ملكة واصبحت صفة راسخة¹⁵.

إذن تنبّه هذا العلامة إلى دور المنظومات في تعليم الناشئة. فأسلوب هذا النمط من التأليف يتميّز في معالجة القضايا النحوية بالبساطة والوضوح، والبعد عن التّعقيد وقد احتلّ المثال النحوي في هذا الاتجاه مكانا واسعا وحظي باهتمام كبير؛ وذلك لأنّه أحسن وسيلة لترسيخ أحكام اللّغة وقواعدها في الأذهان، ويأتي المثال غالبا في هذا الاتجاه بعد وضع القاعدة، وتقرير الحكم النحوي ليكون صورة توضيحية للحكم النحوي، أو القاعدة النحوية¹⁶ ويتقارب هدف هذا الاتجاه مع الاتجاه التعليمي ذلك لأنّ كلا منهما يهدف إلى إيضاح القواعد النحوية وترسيخها في الأذهان.

إنّ ابن معطي كان من السّباقين في التأليف في النظم التعليمي الذي بذل فيه جهدا كبيرا من أجل خدمة لغة القرآن الكريم فعمل على تيسير معرفة القواعد النحوية وتسهيل تعلّمها لأبناء الأمة الإسلامية، وقد بلغ شأن النظم اللّغوي عنده قمة الذروة تشهد له على قمة الإجادة والتفوق؛ لأنّه اعتمد أساليب تعليمية فعالة

¹⁴ ينظر: أنطوان صياح وآخرون، تعليمية اللغة العربية، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1427هـ - 2006م، ط1، ص21.

¹⁵ ينظر: ابن خلدون، المقدمة، تح: يحي مراد، اعتنى به وراجعته محمّد علي قطب، مؤسسة المختار، القاهرة، 1429هـ - 2008م، ط1، ص747.

¹⁶ ينظر: عبد القادر غياط، المواصفات التعليميّة للمثال النحوي في كتاب السنة الثالثة من التعليم الثانوي شعبة آداب وفلسفة، رسالة ماجستير (م ع أ)، المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة، الجزائر، 2011/ 2012م، ص24.

ووظيفها في استمالة المتعلمين وجلب انتباههم منها: طريقة الاستشهاد فنوع بين الاستشهاد بالقرآن الكريم والتي أحصيت ب: اثنين وخمسين شاهدا بإجماع الباحثين حول الدرّة الألفية، وبالأحاديث الصحيحة وكان يجمع بين التمثيل والتعليل ؛ وكان هدفه التوضيح والابانة كما يقال بالمثل يتضح المقال. أيضا جمع بين السهولة واليسر وبين الاختصار والايجاز.

4- خاتمة:

حاولت هذه الدراسة معاينة أهم إنجازات ابن معطي وإسهاماته في مجال البحث اللغوي والتعليقي هذا الرجل الذي عدّ مدرسة علمية لغوية وأدبية، وهو من بين العلماء الجزائريين الذين كان لهم الأثر البارز في الجزائر وخارجها وقد تبين أن:

— منظومته النحوية تعدّ من نوع الشعر التعليمي؛ الذي يُسهّل حفظ العلوم ويدعو المتعلّم إلى الإقبال على العلم والتعلّم.

— حضور المنهج التعليمي والتربوي والتوجيهي بقوة في مصنفاته.

— الألفية إضافة تعليمية للدراسات العربية أراد من خلالها الشيخ تقريب المفاهيم الأساسية للغة العربية وتيسير تعلّمها وتسهيل ذلك للمتعلّمين لاعتقاده بتأثير الشعر على النفس، فلطالما كان الشعر أقوى وسيلة للحفظ والتذكّر.

— إسهامه في المزاجية بين التنظير والتطبيق اللذين يُعدّان أساس الدراسة الناجحة.

— إثراؤه للدّرس اللغوي وحضوره بشكل مختلف، وإغناء المكتبة اللغوية العربية بمصطلحات جديدة.

— يعدّ رائدا في استعمال لفظ الألفية في أشعاره فهو لم يُسبق بشعر يحمل هذا الاسم.

— تفرد في نظمه لألفيته على بحرین الرجز والسريع وهو مخالف لما اعتاد عليه ناظمو العلوم، إذ كانوا ينظّمون قصائدهم على بحر واحد لا أكثر.

— اهتمامه بأي موضوع نحوي يحتاج إليه الناشئ والمتعلّم لقواعد النحو العربي وبكل أبوابه التي فاقت ثلاثة وثلاثين بابا.

ومن بين أهم التوصيات التي خرجنا بها ما يلي:

— ضرورة قراءة التراث قراءة واعية وشاملة ووضع فهارس للمصنّفات والمُدونات الجزائرية الجديرة بالدراسة والاهتمام.

— ضرورة الاستفادة من هذا التراث وإخراجه إلى النّور عن طريق التنقيب، والتّحقيق والدراسة.

وأخيرا نرى أنّه لا بد من التفاعل الإيجابي مع التراث اللّغوي الجزائري، وتحريره وتنويره والاستفادة منه وبه.

5 - قائمة المصادر والمراجع:

• المؤلفات:

1 - أحمد بن محمّد المقرّي التلمساني، (1388هـ - 1968م)، نفح الطيب، تح: إحسان عباس دار صادر، ج1.

2 - أنطوان صياح وآخرون، (1427هـ - 2006م)، تعليمية اللّغة العربيّة، دار النّهضة العربيّة، بيروت، لبنان، ، ط1.

3 - ابن خلدون، (1429هـ - 2008م)، المقدمة، تح: يحي مراد، اعتنى به وراجعته محمّد علي قطب، مؤسسة المختار، القاهرة، ، ط1.

4 - ابن مالك، متن الألفية المكتبة الشعبية، بيروت، لبنان، (ب.ب. ط)، (ب.ب. ت).

5 - ابن معطي، الفصول الخمسون، تحقيق ودراسة؛ محمود محمّد الطناحي، (د.ط.).

— ابن معطي، (1977م)، الفصول، تح: محمود محمّد الطناحي، القاهرة،

6 - السيوطي، البغية، تح: أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، مصر، ج2.

7 - الشريشي، التعليقات الوافية في شرح الدرّة الوفية، مخطوط بمكتبة ليبزج، ألمانيا تحت رقم 210.

8 - صلاح الدين الصفدي، (2000م)، وافي الوفيات، تح: أحمد الأرناؤوط.

9 - عبد العزيز جمعة الموصلي، (2007م)، شرح ألفية ابن معطي تحقيق ودراسة، علي موسى الشوملي، دار البصائر، الجزائر، ط1، ج1.

• الأطروحات:

- 10 – عبد الرحمن عبان، (1427هـ / 1428هـ – 2007م / 2008م) الشعر التعليمي في الأدب الجزائري القديم في عهدة الموحدين، دراسة في موضوعاته وشيخه، ابن معطي نموذجاً، رسالة ماجستير في الأدب، العربي، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر.
- 11 – عبد القادر غياط، (2011 / 2012م)، المواصفات التعليمية للمثال النحوي في كتاب السنة الثالثة من التعليم الثانوي شعبة آداب وفلسفة، رسالة ماجستير (م ع أ).
- المراجع الأجنبية:**

W. Mackey: principes de didactique analytique, traduction Lorne la forge paris 1972
'p 280.